Al-Adab Journal **Vol. 68, No. 2, (June 2026)**
E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

Manifestations of Women's Beauty in the Taste of Pre-Islamic Bedouin Poets

Asst. Lec. Laith Adel Mohsen Allami
Laith133@uowasit.edu.iq
Department of Arabic Language, College of Education for Humanities, University of Wasit, Iraq

Copyright (c) 2026 **Asst. Lec. Laith Adel Mohsen Allami**

DOI: https://doi.org/10.31973/p4a82h32

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

Abstract:

The research dealt with the presentation of Bedouin women's adornment and aesthetic qualities, in comparing them to the aesthetic aspects of the natural environment, which influence the creative taste of Bedouin poets in their description or flirting with women. After a careful reading of the contents of Bedouin pre-Islamic poetic texts, we find the influence of the Bedouin environment effective and influential in building the taste of their creative imagination; through the use of multiple Bedouin phenomena in describing women. We find the taste of Bedouin poets weaving their creative texts from pure natural aesthetic legacies, such as images of beautiful and diverse wild animals such as gazelles, snakes, and others, and images of natural plants such as flowers, roses, and tall, lush branches, and climatic images such as clouds, lightning, rain, and sun, and other Bedouin images, including their saying: A companion who does not rest or go back, or a generous soul offers her food in days of drought, and her noble lineage and other good qualities; In addition to the Bedouin phenomena that were observed during our analysis of the poetic texts. And other legacies of images of beauty in the Bedouin environment, whose creative taste prevailed in describing the beauty of the woman he was flirting with. With the poet's keenness to keep the image of his taste purely natural, that is, he did not put jewelry tools and materials for decoration and beautification in the woman described or flirted with. Consequently, the woman appeared in their texts with pure natural beauty.

Keywords: The taste of Bedouin poets in love, the effect of the environment on the formation of poetic language, the role of the environment in inspiring the poet's imagination with images.

Al-Adab Journal Vol. 68, No. 2, (June 2026)
E-ISSN: 2706-9931 P-ISSN: 1994-473X

مَظَاهِرُ جَمَالِ المَرْأَةِ فِي ذَائِقَةِ شُعراءِ البَدُو الجّاهِليّين

م.م. ليث عادل محسن فنجان اللامي
قسم اللغة العربية وآدابها، كلية التربية للعلوم الانسانية، جامعة واسط، العراق

(مُلَخَّصُ البَحث)

تناول البحث عرض زينة المرأة البدوية وصفاتها الجمالية، في تشبيهها بمظاهر جماليات البيئة الطبيعية، المؤثِّرة في الذائقة الإبداعية لدى شعراء البدو في وصفهم أو تغزّلهم بالنساء. فبعد قراءة فاحصة لمضامين نصوص شعريّة جاهليّة بدويّة، نجد أثر البيئة البدوية فاعلا، ومُؤثِّرا في بناء ذائقة مخيلتهم الإبداعية؛ وذلك عبر توظيف ظواهر بدوية متعددة في وصف النساء. فنجد ذائقة شعراء البداوة تنسج نصوصها الإبداعية من موروثات جمالية طبيعية خالصة، كصور الحيوانات البريّة الجميلة المتنوّعة كالظّباء والحيّات وغيرها، وصور النبات الطبيعي كالأزهار، والورود ،والأغصان الطويلة الريّانة، وصور مناخيّة كالسّحاب، والبرق، والمطر، والشمس، وصور بدويّة أخرى، منها قولهم: أوانس لا تراح ولا ترود، أو كريمة النفس تهدي طعامها في أيام الجدب، وعلوّ نسبها الشريف وغيرها من الصفات الحسنة؛ فضلا عن الظواهر البدوية التي رصدت في أثناء تحليلنا النصوص الشعرية. وغير ذلك من موروثات صور الجمال في البيئة البدوية، التي غلبت ذائقتهم الإبداعية في وصف حسن المرأة المتغزّل بها. مع حرص الشاعر على إبقاء صورة ذائقته طبيعية خالصة، أي لم يضع أدوات الحلي ومواد التزيّن والتجميل في المرأة الموصوفة أو المتغزّل بها. ومن ثم ظهرت المرأة في نصوصهم ذات جمال طبيعي خالص.

كلمات مفتاحية: ذائقة شعراء البداوة في الغزل، أثر البيئة في تكوين اللغة الشعرية، دور البيئة في استلهام مخيّلة الشاعر بالصور الشعرية.

مشكلة البحث: ثمّة اختلاف بيئي واجتماعي في حياة شعراء عصر ما قبل الاسلام، فهل لغة الذائقة الإبداعية _أي لغة الشاعر_ في وصف حسن المرأة تأثّرت في ذلك الاختلاف؟ بمعنى آخر هل نجد أثر البيئة البدوية فاعلا في لغتهم الشعرية المنتجة لنصوصهم الغزلية؟

أهمية البحث: الجدّة وحسن الاختيار في رصد ظاهرة إبداعية تناول الشعراء الجاهليون وصفَها، والتعرّف إلى مزيد من ظواهر الإبداع الشعري الجاهلي، في قراءة دواوين شعرائه، لاستعراض لغة ذائقتهم الإبداعية في وصفهم حسن المرأة البدوية المتغزَّل فيها.

هدف البحث: الدراسة التحليلية لتراث العرب الشعري المتمثّل بالدّواوين الجاهلية، ولفت أنظار الدارسين الى أنّ هناك تنوّعا واضحا في ذائقة شعراء عصر ما قبل الإسلام، في وصفهم الجمال الأنثوي للمرأة. وبيان موارد الشعراء الفكرية وروافدهم الثقافية في التعبير عن ذلك الإبداع.

الدراسات السابقة: القيم الجمالية بين الشعر الجاهلي وشعر صدر الإسلام دراسة جمالية أدبية نقدية، صورة المرأة عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي.

مقدّمة:

تكاد لا تخلو دواوين الشعر الجاهلي من ذكر قضية الزينة، في وصفهم الجمال الأنثوي للمرأة، لتداخلها بغرض الغزل، بل هي جزء منه، ومحوره المهم فيه. وتبدو أهمية الشعر الجاهلي في تسليط الأضواء على الواقع الاجتماعي عموما، ومن ضمن ذلك الواقع الاجتماعي زينة المرأة البدوية خاصة؛ لذلك اخترت هذا البحث للأهمية البالغة؛ لأنّ قضية الزينة تدخل في تشكيل الألفاظ ،والصور ،والمعاني الشعرية. وتناولت هذه القضية عند بعض شعراء البدو في عصر ما قبل الإسلام، في أربع قصائد شعرية، عند كلّ من تأبّط شرّا، والشّنفرى، والمرقّش الأكبر ،وطرفة بن العبد. واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي في التحليل؛ لأننا نتحدث عن الوصف، أي: قضية شكلية. ونستفيد من ظلال المنهج الاجتماعي في الوقت نفسه، ومن ظلال المنهج الفني عبر اعتماد التصوير أيضا.

قال تأبّط شرّا:

بِحَليلَةِ البَجليِّ بِتُّ مِن لَيلِها ... بَينَ الإِزارِ وَكَشحِها ثُمَّ اِلصَقِ
بِأَنيسَةٍ طُوِيَت عَلى مَطوِيِّها ... طَيَّ الحِمالَةِ أَو كَطَيِّ المَنطِقِ
فَإِذا تَقومُ فَصَعدَةٌ في رَملَةٍ ... لَبِدَت بِرَيِّقِ ديمَةٍ لَم تُغدِقِ
وَإِذا تَجيءُ تَجيءُ تَسحَبُ خِلتَها ... كَالأَيمِ أَصعَدَ في كَثيبٍ يَرتَقي
كَذَبَ الكَواهِنُ وَالسَواحِرُ وَالهَنا ... أَن لا وَفاءَ لِعاجِزٍ لا يَتَّقي

(شاكر: ٣٠٠، ط٢/١٩٩٩م.)

تسرّبت إلى ذائقة الشاعر الإبداعية ظواهر بدوية خالصة، يبدو أثرها فاعلا في بناء نصّه الإبداعي، ونسجه بما يناسب البيئة التي نشأ فيها، والمعايير الفنية والموضوعية التي تتحكم في ذائقته، إذ نلاحظ غياب الفضاء المكاني في مخاض افتتاح نصّه الشعري، ونستغرب من عجالة الشاعر في وصف الحالة الغرامية لليلة لقاء كاملة، من دون الاهتمام بمستلزمات وصف مكان لقائهما تزيده بهجة ومسرّة، تماشيا مع الحالة الغرامية آنذاك. حيث لا خباء، ولا نور، ولا خمر، ولا غناء. فأين المبات؟ ولماذا خلت ليلته من ذكر السكن هل كان خيمة أم ظعنا أم وسط الحي؟ الذي عادة ما نجد شعراء الحضر يهتمّون بوصفه

،واعطاء قيمة جمالية له في ليلة الأنس والغرام. فلم يحدد أو يصف مكان علاقتهما الغرامية، أي الإطار الخارجي أو الستر سواء أكان خيمة أم كهفا أم مكانا ما؛ بل جعل ذلك فضاء مفتوحا، ولا شيء يضمّهما إلّا إزارا فحسب، وحتى ذلك الإزار لم ينال من خيال الشاعر أبسط مقوّمات الوصف الجميل من حيث نوع الغزل، وصناعته، والأصباغ، والطراز، ونعومة ملمسه، وعطره. وإذا ما عرفنا طبيعة البيئة التي نشأ فيها الشاعر، بطل استغرابنا الأمر؛لأنّ ذلك لم يأتِ اعتباطا؛ بل له من مؤثّراتها ما يكفي، بدءا من حياته الخاصة فهو لم يعرف الاستقرار، ولم تتعود عيناه رؤية أماكن الاستجمام وحانات الغناء والرقص المزيّنة، ولم يشاهد آلات نسج الإزار وصنعها. وبفعل طبيعته البايلوجية كسرعة الحركة، وخفّة التنقّل بين القبائل، وتحمّل العطش، وكثرة سيره في الليل وممارسته أفعاله ،ونشاطاته الحربية، والإغارة، انعكس ذلك في تكوين ذائقته الإبداعية في وصف الجمال الأنثوي للمرأة. فضلا عن أن ذلك الانفلات من ذكر الأماكن في النص مرتبط بواقع أثر الحالة في البيئة الاجتماعية، وتسلّلها إلى اللاشعوري، حتى انزاح في خطاب إبداعه الشعري.

ويتجلّى ذلك في استعماله مفردة (بتّ) والمعاني التي تحملها تقترب لحالة المباغتة والمخاتلة والخطّة المدبّرة في أمر ما. (لسان العرب مادة: بَيَّتَ) ويستطرد أيضا في اطراء نصّه الإبداعي، وتماشيا مع ذوقه الخاص في مخاض قصيدته، فيستحضر مفردة (الحِمَالة) التي تقترب بمعناها العام في تشكيل نصوص الفروسية والحرب. فأصبحت ذائقة تأبّط في هذين البيتين مزيجا خاصا بين معايشة الواقع ونشاطاته اليومية، ومخيلته الإبداعية في إنتاج نصوص غزلية تستعرض مواصفات جمال المرأة على وفق ذائقته الخاصة. وكذلك استُحضِرَ في ذائقة الشاعر رافد طبيعي خالص، يبدو أثره واضحا في تشكيل الصورة الغزلية عنده، صورة القناة أو الغصن الطويل الممشوق، الذي اشتد نبته، وقد روي بغيث السماء ريّا طبيعيّا، من دون تدخّل يد إنسان في ريّه وتقويم ساقه الغض. ودلالة ذلك المعنى المضمر في النص، أن جمالها طبيعي خالص نقيّ، أي لم تتصنّع أو تجمّل نفسها بمواد الحلي والزينة. ولم تعرض جمالها عن طريق ارتدائها أدوات الزينة والحلي، والذي رمز بذلك بدلالة عجز البيت الثالث (لبدت بريق ديمة لم تغدق). فشكلت الرموز الطبيعية دورا مهما في تكوين ذائقة الشاعر، واستطاع توظيفها بطريقة فاعلة في النص بما تضمره من معان تدل على ذائقته البدوية، التي أثّرت فيه تلك الموجودات في بيئته، وانعكست على ذائقة مخيلته الإبداعية.

وقد تنبّه محقّق الديوان إلى سوء فهم ياقوت الحموي لمعنى البيت الشعري، وكان موقفه قيّما مهمّا.(شاكر: ٣٠٠_٣٠١، ط٢/١٩٩٩م.) ثم يسترفد الشاعر ذائقته الجمالية في وصف حسن المرأة، بصورة كائن حيوان يتميّز بصفات خاصة، منها: نعومة الجسد، واللين،

ورشاقة طبيعية في غاية الإتقان والكمال. فشكلت صورة جسد حية بيضاء تسلّقت زاحفة بعناء رملة مرتفعة تلوي بجسدها الناعم فيه، إحساسا جماليا في ذائقة الشاعر في رسم صورة امتلاء أعضاء جسد امرأة بشكل جاذب النظر مثير الدهشة "ووصف بعض الشعراء الأفعى، وشبّهوا المرأة المغناج المتهادية المشية بها، فهي رمز الليونة، والرّقة، واللطف. وشاعر صعلوك فرد، من وصف الأفعى، مشبّها بها جسد المرأة، وهو تأبّط شرّا، الذي يقول في مشيتها المتثنّية:

وَإذا تَجيءُ تَجيءُ تَسحَبُ خِلتَها كَالأَيمِ أَصعَدَ في كَثيبٍ يَرتَقي

تبدو القيمة الجمالية للموصوف في حركة الجسد الأنثوي المتثنّي، متهاديا كأفعى تلتوي في لين أعطافها، كجسد أبيض، رائع المظهر... إنّها الأنوثة الرقيقة... رغم قباحة المشبه بـه/الأفعى/ أوضـح الشـاعر مـواطن الفتنـة والروعـة والجمـال التـي تختـزن الجسـد النـاعم "(قادرة:٢٢٨_٢٢٩، ٢٠١٣م.) وقال الشنفرى:

فَيا جارَتي وَأَنتِ غَيرُ مُليمَةٍ إِذ ذُكِرَتْ وَلا بِذاتِ تَقَلَّتِ
لَقَد أَعجَبَتني لا سَقوطاً قِناعُها إِذا ما مَشَت وَلا بِذاتِ تَلَفُّتِ
تَبيتُ بُعَيدَ النَومِ تُهدي غَبوقَها لِجارَتِها إِذا الهَدِيَّةُ قَلَّتِ
تَحُلُّ بِمَنجاةٍ مِنَ اللَومِ بَيتَها إِذا ما بُيوتٌ بِالمَذَمَّةِ حُلَّتِ
كَأَنَّ لَها في الأَرضِ نِسياً تَقُصُّهُ عَلى أُمِّها وَإِن تُكَلِّمْكَ تَبلَتِ
أُمَيمَةُ لا يُخزي نَثاها حَليلَها إِذا ذُكَرِ النِسوانُ عَفَّت وَجَلَّتِ
إِذا هُوَ أَمسى آبَ قُرَّةَ عَينِهِ مَآبَ السَّعيدِ لَم يَسَل أَينَ ظَلَّت
فَدَقَّت وَجَلَّت وَاِستَكَرَّت وَأُكمِلَت فَلَو جُنَّ إِنسانٌ مِنَ الحُسنِ جُنَّتِ
فَبِتنا كَأَنَّ البَيتَ حُجِّرَ فَوقَنا بِرَيحانَةٍ ريحَت عِشاءً وَطُلَّتِ
بِرَيحانَةٍ مِن بَطنِ حَليَةَ نَوَّرَت لَها أَرَجٌ ما حَولَها غَيرُ مُسنِتِ

(يعقوب:٣٢_٣٤، ط٢/١٩٩٦)

افتتح الشاعر نصّه الإبداعي بإطار وصفي عام للمرأة التي عزمتْ على رحيله، وتركتْ أثرا للحسرة والألم في نفسه. لينتقل بعد مقدمة لوحة الافتتاح التي حملت فكرة رحيل جارته المستبدة في رأيها، إلى سرد صفات جمالية مستلّة من رحم الطبيعة أو متوارثة في فكر البداوة، يتذوّق منها في اكتمال صورة بناء نصّه الشعري، بعد إعطاء موقفا متسائلا في ذهن المتلقي، من التي إذا ذكر اسمها لا يلومها أحد؟ ومن التي لا يبغضها قومُها؟ ما يلاحظ في ذائقته في وصف جمال المرأة، غياب حضور مفردات اللغة الحضرية، ولا يستطيع قارئ النص أن يلتمس ألفاظ الحلي والزينة ودلالاتها. ولا نجد فيها تلك الطراوة المتوافّرة في جسد المرأة وملابسها في نصوص ذائقة شعراء الحضر، كاستحضارهم المعاصم والأسوار والقلادة

والحرير والزبرجد واللؤلؤ والأقراط وغيرها. وكذلك ظعن الحبيبة خلا وصف كلله من الصبغ، والوشي، والألوان المنمّقة. وعوّض عن ذلك بصور تناسب ذائقته البدوية، فهي تبعد عن مظاهر التصنّع والتزيّن بالأصباغ، والألوان، والزعفران، وتقترب إلى صفاء طبيعة الأشياء؛ بسبب البيئة التي نشأ فيها، وانحسار أدواته الموضوعية والفنية الإبداعية حول معالم جمال طبيعي ومعنوي خالص. سواء أكان ذلك الجمال متوارثا بأعراف وتقاليد اجتماعية في بيئته، أم بمعالم جمالية طبيعية بحتة كالأزهار وغيرها، التي تغذي مخيلة الشاعر بتكوين صورة إبداعية تناسب ذائقته الخاصة.

فالشاعر يضع صاحبته المنصرمة أمام تحدّيات اجتماعية كثيرة تمثل معيار النموذج الأمثل في جمال المرأة العربية والبدوية خاصة، منها: فالعرب تهجو الفعل القبيح وتذمه، وتجعله من أرذل الأفعال وأدناها؛ لذلك يحاول نجاة صاحبته من تلك الإهانة، وأن تفوز برفعة المكانة الاجتماعية المحترمة. ثم ينتقل الى موروث اجتماعي آخر، وعُرْفٍ مترسّخ في كيان نفسية الإنسان العربي، وهو ستر المرأة وحصانتها لنفسها، واحتشامها في ملبسها(يُنظر :الحوفي:٣٧٦، ط٢/١٩٦٣.) ثم ينتقل إلى وصف كرامة نفسها، وإيثارها الزاد في أيام الجدب التي يجفّ فيها الضرع والزرع، وفي أشد برودة ليالي الشتاء الطويلة. ويبدو لي أن هذه الصورة الجمالية للمرأة، قريبة إلى نفسه أكثر، فهو يعاني الجوع ويقاسي معاناة برد الشتاء، أي منطلق صورته هذه متولّدة من معاناته للواقع المعيشي. فيعوض بصورة عكسية معاناة الجوع وقبح الموقف في الواقع إلى صورة جمالية موحية بالخير والحسن والنّماء. ثم ينتقل بعد ذلك إلى تحدّ اجتماعي آخر وهو نجاة بيتها من مذمّة لوم الآخرين، وتحدّ آخر أيضا بشدّة حيائها في مسيرها، وعدم ثرثرتها الكلام. وتحدّ آخر وهو شرف المرأة وعدم ممارستها أفعال تستقبح صورتها، وتنزل مكانتها في المجتمع، وهذا عرف بدوي خطر شديد الحساسية. وتحدّ آخر ،إذ قال الأصمعي "هذه الأبيات أحسن ما قيل في خفر المرأة وعفّتها" وبعد تلك التحديات الاجتماعية الفاعلة في بيئته، استخلص صورة مكتملة الحسية في وصف جمالها، وإنّها في غاية الحسن والكمال. وعجز البيت يقترب من ذائقته بشكل مميز. حيث هو كما تزعم الروايات رفيق الجن في الفيافي والأودية التي يقطعها، فلم تفلت منه آثار الصورة الموحية بالجنون، وتمكّن من توظيفها في ذائقة وصفه الجمال الأنثوي. ثم نسج بقية اكتمال ذائقته في وصف جمال المرأة، بموروث عطر نبات طبيعي من وادي الحزن، تنقله ريح العشاء. وهذا العطر لم يمر بأدوار الصناعة في التجفيف والدّق واذكاء النار من قبل الخدم عليه، بل ظهرت صورته طبيعية خالصة أيضا. قال طرفة بن العبد:

جازَتِ البيدَ إلى أَرحُلِنا آخِرَ اللَيلِ بِيَعفورٍ خَدِر
ثُمَّ زَارَتْنِي وَصَحبِي هُجَّعٌ في خَليطٍ بَينَ بُردٍ وَنَمِر

تَخلِسُ الطَرفَ بِعَيني بُرغُزٍ وَبِخَدَّي رَشَإٍ آدَمَ غِر
وَلَها كَشحا مَهاةٍ مُطفِلٍ تَقتَري بِالرَملِ أَفنانَ الزَّهَر
وَعَلى المَتْنَينِ مِنها وارِدٌ حَسَنُ النَّبتِ أَثيثٌ مُسبَكِر
جأبَةُ المِدْرَى لَها ذو جُدَّةٍ تَنفُضُ الضَّالَ وَأَفنانَ السَّمُر
بَينَ أَكنافِ خُفافٍ فَاللِّوى مُخرِفٌ تَحنُو لِرَخْصِ الظِّلْفِ حُر
تَحسِبُ الطَّرفَ عَلَيها نَجْدَةً يا لَقَومي لِلشَّبابِ المُسبَكِر

(الشنتمري:٦١، ط٢/٢٠٠٠)

ففي النص أعلاه، لم نلمح في ذائقة الشاعر للمرأة المتغزّل بها وصفا، أو حسنا حضريا موجودا في النص. بل غلبت الصورة البدوية، إذ أعطى صفة جمالية رائعة في تشبيه سعة وسواد عينيها بعيني ولد البقرة الوحشية، وأسالة خدّيها وبياضه ونعومته بخدّي غزال حدث غر. وأظنّ اختيار عيني ولدها الصغير يمثّل مقصدا جماليا؛ لأنّ عينيه فضلا عن جمالها الطبيعي في السّعة والسّواد، أنّها أحدّ وألمع وأنظف من عيني أمّه؛ التي تعرّضت بفعل قساوة البيئة الصحراوية لأشعة شمس لاهبة، ورياح مترية مغبرة، فهي تسيل وتدمع بسبب ذلك، فيكدس بقية الدمع متيبّسا أسفل محجرها، فيجتمع غمصها، مما يبدو مظهر عيني وليدها أجمل. لكنّنا نجد شعراء الحواضر يستعينون بأدوات الزينة في تجميل العيون، باستعمال عود الكحل في زيادة صبغة سواد الرمشين. وتجميل البشرة بإطلائها العبير لتزيدها بياضا وجدّة وتخفي عيوبها. أمّا هنا فقد وصفهما بخدّي غزال في أسالتهما فحسب.

بادِنٌ تَجلو إِذا ما اِبتَسَمَت عَن شَتيتٍ كَأَقاحِ الرَملِ غُر
بَدَّلَتهُ الشَمسُ مِن مَنبَتِهِ بَرَداً أَبيَضَ مَصقُولَ الأُشُر
وَإِذا تَضحَكُ تُبدي حَبَباً كَرُضابِ المِسكِ بِالماءِ الخَصِر

(الشنتمري:٦٥_٦٦، ط٢/٢٠٠٠م)

أحيانا نجد وصفا مشتركا بين البداوة والحضر، لكن تتميز ذائقتهما في كيفية اطراء ذلك الوصف، فهنا نجد صورة ضخامة الأرداف فحسب، من دون عرض صورة الملابس التي ترتديها، وألوان تلك الثياب، والخلاخل الملازمة لساقيها. وكذلك نجد في وصف جمال ثغرها، حيث تقترب في ذائقة الشاعر البدوية صورة انتظام وريقات زهر الأقاحي، وبراقة لونها الأبيض ونقاء عطرها، بالصورة المتخيّلة المرسومة لتركيب أسنان ثغر الحبيبة. فقد وظّف الشاعر صورة الجمال الموجودة في النبات الطبيعي، في بيان حسن ثغرها، من دون أن يخطر في ذائقة مخيلته الإبداعية صورة تنظيف وتلميع أسنانهن باستعمال السواك أو غيره. وإن تلك الأشياء مصنوعة ومستعملة في بيئة حضرية؛ لذلك استعمل شعراء الحضر مفردات هذه الأدوات المصنوعة في وصف جمالية ثغر المتغزّل بها ونظافته.

وَإذا قامَت تَدَاعَى قَاصِفٌ مَالَ مِن أَعلى كَثيبٍ مُنقَعِر
تَطرُدُ القُرَّ بِحَرٍّ صَادِقٍ وَعَكِيكَ القَيظِ إن جاءَ بِقُر
لا تَلُمنِي إنَّها مِن نِسوَةٍ رُقُدِ الصَّيفِ مَقَالِيتَ نُزُر
كَبَناتِ المَخرِ يَمأَدنَ كَما أَنبَتَ الصَّيفُ عَساليجَ الخُضَر
فَجَعُوني يوم زَمُّوا عِيرَهُم برخيمِ الصَّوتِ مَلثُومٍ عَطِر

(الشنتمري:٦٦_٦٧، ط٢/٢٠٠٠م)

أمّا وصفه ليونة أجسادهن ونعومته، فقد عبّر بذلك الوصف عن طريق استحضار أكثر من مظهرين طبيعيين، هما: كثيب الرمل المتهدّل، وبنات المخر السحائب البيض، والعسلوج نبات أبيض لين يتثنى. وهذه موجودات بيئية مهمّة في تكوين ذائقة الشاعر في بناء مخيلته الإبداعية في رصد مواصفات الجمال الأنثوي. فكان استحضار الوصف وبناء الحالة الإبداعية في صورة مشابهة في الاتساع والنعومة والانغماس والتهدّل، من معلم طبيعي خالص هو كثبان الرمال والغيوم.

نجد في قراءتنا للنص الإبداعي أثرا كبيرا للبيئة التي ينتمي إليها الشاعر، ودورا أساسيا في معرفة وكشف ذائقته في وصفه للجمال الأنثوي؛ لذلك نلاحظ من الصور الفنية المعروضة في النص الشعري، وما تحمله من مدلولات جمالية، إنّ منتجها ينتمي للبيئة البدوية التي نهل منها ينبوعه الشعري. وعدم تأثر بيئته وحياته بطابع عادات أهل الحضر والمدن وثقافتهم. فالشاعر ينتقي مفردته في مخاضه الإبداعي عبر صور فنية مستلّة من رحم الطبيعة وموجوداتها الجمالية المتنوّعة، كالموجودات الحيوانيّة البريّة، والموجودات النباتية الزهور والأغصان، والموجودات المناخية السحاب ،ونسيم الريح ،والمطر ،وحبات البرد وغيرها. كما نلاحظ انعدام وغياب حضور مفردات لغة الحضر، ومدلولاتها المتمثّلة باستعمال أدوات الزينة والحلي في إنتاج نصّه الإبداعي. وأبسط تلك الأسباب وأهمّها: هو ندرة وجودها في البيئة البدوية. قال المرقّش الأكبر:

سَرى لَيْلاً خَيالٌ مِنْ سُلَيْمى فأَرَّقَني وأَصْحابي هُجُودُ
فَبِتُّ أُدِيرُ أَمْرِي كلَّ حالٍ وأَرْقُبُ أَهْلَها وهُمُ بعيدُ
عَلى أَنْ قَدْ سَما طَرْفِي لِنارٍ يُشَبُّ لها بذِي الأَرْطى وَقُودُ
حَوالَيْها مَهاً جُمُّ التَّراقي وأَرْآمٌ وغِزْلانٌ رُقُودُ
نَواعِمُ لا تُعالِجُ بُؤْسَ عَيْشٍ أَوانِسُ لا تُراحُ وَلا تَزُودُ
يَزُحْنَ مَعاً بِطاءَ المَشْيِ بُدّاً عليهنَّ المَجاسِدُ والبُرُودُ

...

ورُبَّ أَسِيلةِ الخَدَّيْنِ بِكْرٍ مُنَعَّمَةٍ لها فَرْعٌ وجِيدُ

وذُو أُشْرٍ شَتِيتُ النَّبْتِ عَذْبٌ نَقِيُّ اللَّوْنِ بَرَّاقٌ بَرُودُ
لَهوْتُ بها زَماناً مِن شَبابي وزارَتْها النَّجائِبُ والقَصِيدُ

(صادر: ٥١_٥٢، ط١/١٩٩٨.)

يستعرض بمقدمة افتتاح قصيدته صورة ليل المهموم المراقب لأمر ما، وما يثير حزنه وقلقه عدم استطاعته فعل شيء ما، يؤنسه ويسلّيه همّه. وذلك أبعث لانفعاله، ثم يحاول التخلّص من ذلك الموقف، بالانتباه لنار مرتفعة. فينتقل من حالة الخيال المحزنة في مراقبة ارتحال الحبيبة بعيدة عنه، إلى التخلّص لغرضه الفني عبر الاستعانة بصورة النار، ليتسنّى له الدخول في وصف جمالها، إذ قدّم صورة إبداعية في وصف حسنها، أغلب عناصرها طبيعية، أو موروثات ثقافية تحمل المعنى الجمالي في واقعه البيئي الخاص. فصورة انتماء المرأة لعالم الحيوان البري الجميل المتمثّل بالظّباء والبقرة الوحشية، من دون إضافة معالم جمال متصنّعة في جيدها أو وجهها أو معاصمها يجعل الصورة ذات طابع ذائقة بدوية بامتياز. فضلا عن صورة الرعي وهي بدوية بحتة، فقد نسج منها صفة جمالية للمرأة البدوية بعدم ممارستها تلك المهنة؛ لأنّه أعرف بما تفعله تلك المهنة بالرّعاة من الضعف والهزال والغبرة والشعث. وقد اقتصر على بيان صفات في المرأة يكثر شعراء البدو من تناولها وأغلب ذائقتهم الجمالية تدور فيها منها الشعر الأسود الكثيف الطويل فلم يدهن أو يصبغ، وحدة أطراف أسنانها وانتظامهن في منبت الثغر بصورة طبيعية، وبشرة وجهها بيضاء نقيّة لم تلطخ بعبير أو وشم. وجيدها الطويل لم يزيّن بالقلادة والسموط. فلم يسترفد الشاعر ذائقته الإبداعية بأدوات حلي وزينة حضرية متصنّعة في وصف الجمال الأنثوي.

الخاتمة

_ تبيّن أن هناك وصفا لجمال المرأة البدوية متأثّرا ومستخرجا من مظاهر وموجودات البيئة الطبيعية.

_ تبيّن في نصوص الشعراء الغزلية انحسار ورود مفردات أدوات الحلي والزينة ومشتقاتها في البيئة الحضرية.

_ ظهرت في النصوص الشعرية مظاهر جمال بدوية متنوعة مستخرجة من الطبيعة.

_ حملت النصوص الشعرية قيما جمالية بدوية خالصة.

قائمة المصادر والمراجع

الأعلم الشنتمري، ط٢/٢٠٠٠.شرح ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: درية الخطيب، لطفي الصقّال. المؤسّسة العربية للدراسات والنشر_ بيروت.

الأفريقي المصري، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، د.ت.ط، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر_ بيروت.

الحوفي، أحمد محمد، ط٢/١٩٦٣، المرأة في الشعر الجاهلي، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي.

شاكر، علي ذو الفقار، ط٢/١٩٩٩م، ديوان تأبّط شرًا وأخباره، جمع وتحقيق وشرح، دار الغرب الاسلامي.

صادر، كارين، ط١/١٩٩٨م، تحقيق ديوان المرقِّشَينِ، دار صادر للطباعة والنشر_ بيروت.

قادرة، غيثاء، ٢٠١٣، لغة الجسد في أشعار الصعاليك تجلّيات النفس وأثرها في صورة الجسد، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق.

يعقوب، أميل بديع، ط٢/١٩٩٦، ديوان الشنفرى عمرو بن مالك نحو ٧٠ ق.هـ، جمعه وحقّقه وشرحه، الناشر: دار الكتاب العربي.

Al-A'lam Al-Shantamari, 2nd ed./2000. Explanation of the Diwan of Tarafa bin Al-Abd, edited by: Durya Al-Khatib, Lutfi Al-Saqqal. Arab Foundation for Studies and Publishing - Beirut.

Al-Afriqi Al-Masri, Abu Al-Fadl Jamal Al-Din Muhammad bin Makram bin Manzur, n.d., Lisan Al-Arab, Dar Sadir for Printing and Publishing - Beirut.

Al-Hawfi, Ahmad Muhammad, 2nd ed./1963, Women in Pre-Islamic Poetry, committed to printing and publishing Dar Al-Fikr Al-Arabi.

Shaker, Ali Dhu Al-Fiqar, 2nd ed./1999, Diwan of Ta'abbat Sharra and his News, compiled, edited and explained, Dar Al-Gharb Al-Islami.

Sadir, Karen, 1st ed./1998, edited Diwan of Al-Muraqqishin, Dar Sadir for Printing and Publishing - Beirut.

Qadera, Ghaythaa, 2013, Body Language in the Poetry of the Vagabonds: Manifestations of the Soul and Its Effect on the Image of the Body, Publications of the Arab Writers Union, Damascus.

Yaqoub, Emil Badi', 2nd ed./1996, Diwan Al-Shanfara Amr bin Malik, around 70 BC, compiled, verified and explained, publisher: Dar Al-Kitab Al-Arabi.

Al-A'lam al-Shantamari, 2nd ed./2000. Commentary on the Diwan of Tarafa ibn al-'Abd, edited by Durriya al-Khatib and Lutfi al-Saqqal. Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut.

Al-Afriqi al-Misri, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Mukarram ibn Manzur, n.d., Lisan al-'Arab, Dar Sader for Printing and Publishing, Beirut.

Al-Hawfi, Ahmad Muhammad, 2nd ed./1963, Women in Pre-Islamic Poetry, Dar al-Fikr al-'Arabi.

Shakir, Ali Dhu al-Fiqar, 2nd ed./1999, Diwan of Ta'abbata Sharran and His Stories, collected, edited, and explained, Dar al-Gharb al-Islami.

Sader, Karen, 1st ed./1998, Editing of the Diwan of al-Murqishayn, Dar Sader for Printing and Publishing, Beirut.